مع غزّة

أمجد الزعبي

بحاجة إلى مشروع كبير يستوعب طاقات التحرُّر

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «ثمّة ساحة يمكن العمل عليها وتفكيكها لتبيان خطر الصهيونية العالمي على كلّ شعوب الأرض»، يقول الباحث الأردني

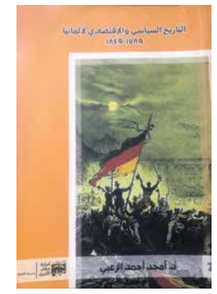

بطاقة

باحث أردني من مواليد 1971. حاصل على الدكتوراه في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، من كتبه ودراساته: «هربرت صموئيل وتأسيس إمارة شرقي الأردن: 1920 - 1925» (2002)، و«ثأر الثورة الفرنسية وحكم نابليون على ألمانيا: 1789 - 1815» (2010)، و«الآخر في فكر الأمير عبد القادر: دراسة في فتنة دمشق 1860» (2016)، و«التغلغل اللاهوتي في الدولة العثمانية من خلال الاستشراق في الربع الأخير من القرن التاسع عشر» (2018).

عمّان ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

ليس هاجساً يأتي ويذهب بقدر ما هو ألم وتشظٍ ينخر أعماقك وعظامك، ينقرُ في رأسك ويحرق أحشاءك. بعيدك لقراءاتك الأولى للحملات الصليبية في مدينة القدس، كأنك تقف بين الجموع التي قام الصليبيون برصّها في القدس ليُعملوا القتل سبعة أيام ولياليها، لم يتركوا شجراً ولا حجراً إلا وخضّبوه بالدم، شلال هادر راح ضحيته سبعون ألفاً ويزيد. كنت، وأنا أقرأ، أراني أنزفُ بينهم، أسمع صراخ الطفل وأنين الأم وحسرة الرجل وعجزه. فما بالك بالحملات الصهيونية التي تتواصل في بثّ حيّ ومباشر، وفاقت إجرام المغول والصليبيّين، هتلر نفسه لو كان حيّاً لاستنكر هذا الإجرام. ليس هاجساً يا سيدي، إنه موت بطيء، كيف لمثل هذا الموت البطيء أن يتوقّف؟ كيف لك أن تفكّر وأن تقرأ وتكتب؟

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

أعتقد أن المثقّف والمبدع العربي، وأنا منهم، متأخّر بأشواط عن نبض الشارع الذي في الأصل هو قائده، لكنني أرى غياباً لما يُسمّى بالطلائع: أحزاباً ومفكّرين ومبدعين. مضى زمن طويل منذ ما سُمّي بـ«مفاوضات السلام» في مدريد ونتائجها الكارثية على مسيرة النضال للتحرّر من الاحتلال الغاشم، فتمّ الترويج للتطبيع والتنازل عن الثوابت عن سبقٍ إصرار وترصّد، ولا أستثني أحداً.

ويحضرني الزير سالم عندما قال: «سلام بلا خيول ولا سيوف»، ليذكّرنا أحرار العالم اليوم أن فلسطين من النهر الى البحر، وألا حرية في هذا العالم دون حرية فلسطين، وأنّ هناك قضية عادلة في هذا العالم تستحق أن نموت من أجلها.

العمل الإبداعي ممكن لنكون أوفياء لقضيتنا، فما زالت هناك أكوامٌ من الوثائق التي تحتاج للعمل عليها في إطار نشاط الحركة الصهيونية العالمية. نحن ركّزنا على نتاج الحركة؛ هذا الكيان المسخ، وتركنا ساحة يمكن العمل عليها وتفكيكها وتبيان خطرها العالمي على كلّ شعوب الأرض.

ثمّة تساؤلات تشكّل تحدياً: كيف قارنا قضايا الشعوب التي وقفت معنا، مع قضيتنا معرفياً وفكرياً؟ بتُّ الآن مشغولاً بقضية الشعب الأيرلندي، وكيف يمكن أن تقدَّم هذه القضية للقارئ العربي؟ ما حجم الأبحاث والكتابات العربية عن قضية تحرّر جنوب أفريقيا؟ أشعر بكل هذا التقصير، لكن أعمل على مشروع في هذا الاتجاه خلال المرحلة المقبلة.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

الوعي والإبداع ليسا خياراً، هما حالة من الاشتباك الدائم في البحث عن الذات التي تتجاوز الأنا الضيّقة. وهذا له ضريبته الثقيلة، فحالة الاشتباك تتطلّب منك موقفاً بالضرورة هو سياسيّ نضالي، وتتقاطع بالضرورة مع الآخرين الساعين إلى الغاية والهدف نفسيهما في بعدهما الأخلاقي الإنساني، فلا إبداع بلا حرية، ونفس الحرّ تضيق في أفق ينسدّ بغيوم القتل والدمار والتهجير. أن تختار مسارك وأنت تعلمُ صعوبات هذا المجال، والجهد الذي تبذله في عالم عربي تهاجر فيه العقول، هو خيار صعب؛ فالإنسان المبدع في عالمنا غير مقدّر، وعند يموت يجد تكريماً هزيلاً له هنا وهناك. المسيرة الإبداعية تحتاج إلى حاضنة قادرة على تأطير هذا الإبداع وبعثه في نفوس الشباب.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

التغيير تراكمي ومسيرة من الحراك المتواصل؛ فالتاريخ يعلّمنا أنّ حركته بطيئة مقارنة بعمر الإنسان، فما بين مذبحة القدس في الحملة الصليبية الأولى عام 1096 حتى تحرير القدس سنة 1187، مرّ واحد وتسعون عاماً، ومن تحرير القدس حتى خروج آخر صليبيّ عام 1291 من عكا، مضت 104 أعوام. خرجوا وكان لم يكونوا أبداً. والكيان الصهيوني يعي ذلك، ويعلم أنه إلى زوال، لذا ترى كلّ هذا الإجرام والدموية. فالسابع من تشرين الأول/ أكتوبر أثبت هشاشة هذا الكيان. القادم بالضرورة نهاية لهذا الكيان، والعالم بدون هذا الكيان هو عالم بالضرورة أفضل وأرحب.

التحديات كبرى في عالمنا، لذا يجب أن تكون الاستجابات مساوية لهذه التحديات، فالأقلية المبدعة هي بالضرورة القادرة على إحداث التغيّر الكبير في العالم، بشرط وعيها الذاتي لآليات الصراع والمتناقضات.

> المثقّف والمبدع العربي متأخّرٌ بأشواط عن نبض الشارع
>
> العالم دون الكيان الصهيوني سيكون أفضل وأرحب بالضرورة

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

بلا تردّد ناجي العلي، ابن قرية الشجرة التي هُجّر أهلها قسراً عام 1948، وابن النكبة، صاحب أيقونة حنظلة المبشّر بالأمل، قلبه على ريشته، لم يعرف الضعف والانحناء. هذا الذي أكله الذئب على حين غرّة، حفر في أذهاننا شعاعاً أقوى من كلّ الأسلحة، وصبّ جام غضبه على النكسة وعلى الكروش والعروش، وحمل قضيته بكلّ هدوء وادار معركة من أصعب المعارك. ماذا أقول لك ورسمك ما زال يحرّضنا مبشّراً بالأمل القادم. ما زال حنظلة يكلّ وعيه، فالسلام عليك يوم وُلدت ويوم قُتلت ويوم تبعث حيّا.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

أستحضر في هذا المشهد الدامي مسيرة الرسول العربي الكريم وحصاره في شِعب مكة، وقول الرسول لآل ياسر: «صبرا آل ياسر إنّ موعدكم الجنة». فصبراً أهل غزّة فهذا ثمن العزّة، ثمن عزيز تدفعونه في كلّ لحظة نيابة عن المستضعفين في الأرض، أمام آلة الإجرام الصهيوأميركية، الصهيوبريطانية، الصهيوفرنسية، الصهيوألمانية، بالتحالف مع نظام عربي استكان وهان ورهن مصيرنا بيد العم سام.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيجوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي». ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

صغيرتي يا عصفورة الصبح، يا من غرّدتِ وسط الركام والدمار. نحن يا حبيبتي شركاء في الصمت والضعف والجبن، لن أجرؤ على طلب الغفران والسماح. لا تسامحينا.. اطلبي القصاص منا جميعاً؛ لا عذر لنا، قمصانُ الصغيرتان تعلو فوق كل الرؤوس، شجاعتك فاقت كل ادعياء الشجاعة. صغيرتي، سباتي يوم، اصرخي في وجه الجميع، كوني لذاك اليوم قوية.

أمجد الزعبي

إطلالة

في هذه الغابة البشرية الكبيرة

رفح مدينتي

> ملعونٌ الكوكب الأرضي ما لم تتحرّك أفئدةٌ أناسه ضدّ من يفرضون الموت عليك. أنت صغيرة في الجغرافيا، لكنّك تجلّ كثيف لمعاني الإنسانية

عاطف الشاعر

تأتي أيّامٌ أودُّ فيها لو لم أستيقظ من النوم، مع أنّ أشهى ما أحبُّ هو رؤية النهار مُشمساً طازجاً، مُنزّهاً من المُنغّصات التي لم يُعدّ لها قلب ولا روح. ها هي رفح مدينتي ومدينة أهلي والأصحاب والجيران، تُقمّ تحت طائل الإنذارات الإسرائيلية المرؤعة للإخلاء، وخصوصاً للمنطقة الشرقية حيثُ يقطنُ الزبّع. حيّ السلام، حيثُ نشأت، وحيّ الجنينة المجاور، وحيّ الشوكة، وحيّ البيوك. تلك الأحياء، وتلك الأسماء التي لها في الذاكرة علامات ومشاهد ومواقف، كلّها تحت مرمى جهنّم «إسرائيل»، مرمى الموت والدمار والكذب.

لي هناك طفولة تمتدّ من البحر الأبيض المتوسّط الساطع برُزقته والشمس التي تُحرّز جسده من التجمّد وتُدفّئه، حتى منطقة الشوكة والدهينية شرق رفح، هناك حيثُ كانت تُغنّي الحساسين وكنّا نأكلُ اللّوز الأخضر، ونشوي الشّار (الحجل) وأجنحة الدجاج على وقع قهقهات الأصحاب ونكاتهم المدوّية، عن آخر ما في حياتهم المُزدحمة بالمواقف والعثرات والشهوات.

تلك هي عشوائيّتُه «إسرائيل»، حين تُنصّبُ نفسها محلّ أعتى الآلهة لتفرض الويلات على أجساد الأطفال وغيرهم من المساكين، تطلبُ منهم الفرار إلى ما يستحيلُ الفرار إليه، وتطلبُ منهم تَرْك أشجارهم حيثُ عُشّش في قلوبهم حبّ الأرض، ومقابر عائلاتهم، وذكرياتهم، وصياح الديوك مؤذنةً ببدء الصباح، وهمهمة الحمير والأحصنة في البراري الخالية، ونباح الكلاب الضالّة، ومكان التجمّع في الليالي حول إبريق شاي اسودّت معالمه تماماً من كثرة ما التهمته النيران وعشقته الوجوه، وسَلق البيض أو البانذنجان أو بسطات الفلافل عند منحنيات الشوارع، وغرائد النساء عند الأفراح، وتوشّحهنّ بالسواد عند الأتراح، وسفر الصوت المُسجّى بعادات السجع القديم من المساجد بعد بعض الصلوات، ويوم الجمعة للمؤمنين كي يُؤمّنوا أكثر وتستقيم عباداتهم، وفي عيونهم هموم الدنيا تتقاطر، عباداتهم التي تُنجيهم من الإغراق في هموم الدنيا شديدة الأثر من حولهم، وعاداتهم التي لولاها لَمُحقتْ قلوبهم من العبث.

ستستشري جمعُ الصواريخ من الدبّابات والطائرات والبنادق والزنّانات والزوارق، وآخر معالم الجحيم في الأيادي الإسرائيلية من المصانع الأميركية. كلّها ستثبت فعاليتها في مدينتي رفح ومدن غزّة المُعذّبة. ستُعمّد غزّة الخراب: سيموتُ أطفالٌ أكثر، ستُقلعُ أشجارٌ أكثر، ستُهدمُ وتُحرقُ بيوتٌ، وستُسقطُ القذائف والشظايا على المستهدفين، والمارّين، والنائمين، والبعيدين والقريبين، والمُسالمين، والمُقاومين، ذهبوا، وسيتفشّى الخوف والمرض والفقر، والقهر، والإرهاق، والتيه، وتصدعُ نفوس من تبقّوا. هؤلاء الذين ما تبقّت حياةٌ في عيونهم ولا ضوء إلّا واستهدفته مشاريع الموت الإسرائيلية. يا لهُ من عنبٍ جحيمي تترتّعُ على عرشه «إسرائيل»، وولاةُ نظامها في «البيت الأبيض». يا لهُ من عار مُركّب، وخراب مُحقّق يمتدُّ من أروقة السواد والكذب والتضليل في تل أبيب إلى مراكز القرار التوراتية في الكونغرس الأميركي والجُبن الغربي مترامي الأطراف، يُطاردون شباناً وشاباتٍ أحراراً من شعوبهم في الجامعات لأجل عيون الإجرام الإسرائيلية، يمنعون أنبل الناس، كالطبيب غسّان أبو ستّة، من الإدلاء بشهادته عن الموت الإسرائيلي المفروض على الشعب الفلسطيني في المستشفيات، وفي الطُرقات، وفي البيوت، وفي الهواء المُدلهمّ بالرُماد ورائحة الجُثث المتحلّلة والمجاري وصُراخ الناس على أحبّائهم المفقودين تحت الرُكام، وآخر صعقة موتٍ حلّت بالناس بينما هُم يبحثون عن شربة ماءٍ ولقمة خبزٍ تسدُّ رمَقَ أبنائهم وبناتهم.

إنّ أنبل كلمات الحبّ بأعمق دلالات الإنسانية والرحمة لا تكفي لكِ يا غزّة، يا أوّل وآخر قلاع المقاومة أمام أكثر الأعداء همجيّة وسوداوية. إن حياتنا بكلّ تفاصيلها تتناثر بدمار الحياة فيكِ، وتكادُ عقولُنا تتمتفضُ علينا من عجزها أمام ما تتعرّضين له من ظُلم يتناثر كوابيس في كلّ فضاءات حياتنا. إنّنا نتكلمُ حتى نستقوي على الصمت الضارب في قلوبنا من قهرنا، ونكتبُ لعلّنا نتحرّر من ضيقِ مآلاتنا وانفاسنا.

إنّ حياتنا بدون الالتحام روحاً ومعنى معكِ يا غزّة وفلسطين وطولكرم وجنين ونابلس والقدس والخليل وبيت لحم، تبقى هروباً من الوعي والضمير والشعور، هروباً لا يليقُ بأي حُرّ تعني له حياته وحياة الآخرين المظلومين شيئاً. إنّنا حين نتقدّمُ نحوك يا غزّة، وأنتِ مَن تُذبح الحياة فيك على الملأ، فإنّنا نقصد أنفسنا، لعلّ أطفالنا وشعبنا ومستقبلنا يرون النور من عتمة أحلك اللحظات فيك.

إنّ الكوكب الأرضي يبقى ملعوناً مذموماً ما لم تتحرّك أفئدةٌ ناسه ضدّ من يفرضُون الموت والخراب عليك. أنتِ صغيرة في الجغرافيا، عميقةُ الأثر، تجلّ كثيف لكلّ المعاني الإنسانية وغير الإنسانية في ساحةٍ تدفعُ أثمانًا لا يحتملها عدوٌّ ولا صديقٌ، وتكشفُ ثنايا الضمائر في هذه الغابة البشرية الكبيرة. لا توجد بقعة في التاريخ البشري الحديث، وربّما القديم، أشدّ سواداً من تلك التي تتربّع على عرشها «إسرائيل».

وتبّاً للكراهية أينما كانت، لو كانت بلا سبب، لو كانت بلا فهم، لو كانت بلا أمل. تبّاً لأيّ إلهٍ، قديم أو حديث، يبارك الموت والدمار ضدّ الأبرياء، والمساكين من أجل توسّع وتثبيت الهيمنة. تبّاً لكلّ قوّة مهما كانت لا تُوقف الدّم النازف من أجساد أطفال فلسطين، هؤلاء الذين معجزتهم وجودهم في ظلّ الخراب الإسرائيلي، والانهيار الأخلاقي العالمي الرسمي.

سأتابعُ المشهد يا مدينتي، رفح، سأتابعه بكلّ أسىً وحسرة، وبكلّ لعنةٍ يستصرخُ بها القلب على مُرتكبي الموت والدمار من «إسرائيل» وأميركا، وغيرهما من عصابات السَّفْلة.

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

> خرابٌ أداته الكيان ولكنّ جذوره ممتدّة في عواصم الغرب

شقيقان فلسطينيان يقرب درّاجتهما في منزلهما الذي دمّره العدوان، رفح، 9 أيار/ مايو 2024 (Getty)

متابعة

أسبوع العودة فعالياتٌ عن النكبة المستمرّة منذ 76 عاماً

لا بُدّ من فلسطين ولو طال السفر

> تستعيد فعاليات الأسبوع، التي تنطلق غداً الأحد بتنظيم من «جمعية الثقافة العربية»، ذكرى النكبة، مع وضعها في سياقها الفلسطيني والعالمي الراهن

حيفا ـ **العربي الجديد**

في ضوء دخول العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة شهره الثامن واستمرار واتساع رقعة المظاهرات الطلّابية الداعمة لفلسطين في الجامعات الغربية، يستعيد طلبة «منحة روضة بشارة- عطالله» في «جمعية الثقافة العربية» بمدينة حيفا المحتلّة الذكرى السادسة والسبعين لنكبة فلسطين (1948 - 2024) بسلسلة من الفعاليات التي تُقام للسنة الثانية على التوالي تحت عنوان «أسبوع العودة»، وذلك ابتداءً من يوم غدٍ الأحد وحتى الثامن عشر من أيار/ مايو الجاري. تنطلق الفعاليات، التي تُنظّم بدعم من «مؤسسة الجليل» في لندن، بندوة إلكترونية عنوانها «عودة الصوت الفلسطيني حول العالم: الحركات الطلّابية مقابل السلطة». تُقام الندوة بالاشتراك مع «مدى الكرمل - المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية» عند الثامنة والنصف مساءً بتوقيت القدس المحتلّة عبر «زووم»، ويتحدّث فيها كلٌّ من الأكاديميَين: مصطفى ريناوي من «جمعية الثقافة العربية»، وأمير مرشي من «جامعة البنوي» في شيكاغو، وأمير طعمة من «جامعة ميشيغان» في آن أربر، وسلمى بركات من «جامعة بارت» في برلين، وصافي شمعون من «جامعة كولومبيا» في نيويورك، وربيع إغبارية من «جامعة هارفارد» في كامبريدج، وإضافةً إلى وعد غنطوس ويوسف طه من الحركة الطلّابية الفلسطينية داخل «الخطّ الأخضر».

وتُقام، عند الخامسة من مساء بعد غدٍ الاثنين، محاضرةٌ إلكترونية بعنوان «ما بين ذهنية استدخال الهزيمة وذهنية الاقتدار والعودة» من تقديم الأخصائية النفسية أسرار كيّال. وتحت عنوان «لا بُدّ من فلسطين ولو طال السفر»، يُقدّم الباحث سلمان أبو ستّة محاضرةً إلكترونية عند السابعة من مساء الأربعاء، بتنظيم مشترك مع «الائتلاف الفلسطينيّ لإحياء ذكرى النكبة»، بينما تُقام، عند السابعة من مساء الخميس، حوارية إلكترونية تحت عنوان «سينما النكبة: النكبة في السينما الفلسطينية»، بمشاركة الصحافية والناقدة سماح بصول، والمختصّة في الأرشيف الفلسطيني رولا شهوان، والكاتب والأكاديمي عبد الله البياري. إضافةً إلى الندوات والمحاضرات، يتضمّن «أسبوع العودة» في دورته الثانية أنشطةً أخرى؛ من بينها مسيرة العودة السابعة والعشرين إلى هوشة والكاير وقرى قضاء حيفا، والتي تنطلق عند الواحدة من بعد ظُهر الثلاثاء، وتليها مسابقةٌ رقمية بعنوان «شو بتعرف عن فلسطين؟»؛ حيث تتناول الأسئلة أحداثاً بارزة في التاريخ والرواية الفلسطينيَّين. وفي البرنامج أيضاً ورشة دراما وموسيقى موجّهة للأطفال بعنوان «رحلة متخيّلة في فلسطين»، يُقدّمها لقاء شرف وعمرو مداح عند الحادية عشرة من صباح السبت المُقبل، وورشة بعنوان «تصوُّر العودة بواسطة الذكاء الاصطناعي»، يُقدّمها عزّ عودة عند السادسة من مساء اليوم نفسه.

يهدف «أسبوع العودة» إلى «تسليط الضوء على قصص صمود وتحدّي أبناء وبنات شعبنا وطريقه نحو الحرّية»، مثلما يُوضّح بيانٌ لـ«جمعية الثقافة العربية»، نُقرأ فيه: «في هذا العام نُذكّر ونتذكّر انعكاسات نكبتنا المستمرّة التي يواجهها شعبنا في أماكن وجوده كافّة، خاصّة أهلنا في قطاع غزّة، الذين يتعرّضون لحرب تصفية وإبادة جماعيّة. في ظلّ الألم والوجع والفقدان، نُحوّل ذكريات النكبة إلى دعوات للأمل والتحدّي والعمل لمستقبل عادل وكريم للجميع، متمسّكين بحقّ العودة رمزاً وبوصلة لا تسقط بالتقادُم».

مظاهرة لأساتذة في «جامعة كولومبيا» للمطالبة بالإفراج عن الطلّاب المتضامنين مع فلسطين، 1 أيار/ مايو 2024 (Getty)

فعاليات

اعتباراً من 14 الجاري وحتى الحادي والعشرين منه، يستضيف «مركز العزم الثقافي» في طرابلس اللبنانية معرض **من بيروت هنا القدس**، لمجموعة فنانين تشكيليّين. تُشكّل الأعمال المشاركة رحلة استكشاف في لوحات فنانين شباب مقيمين في لبنان، يستعيدون فيها أعمالاً فنّية عن مدينة القدس.

ضد النكبة 1948 - 2024، عنوان سلسلة من الفعاليات التي ينظمها «مكتب مقاطعة إسرائيل» في أشبيلية، يومي الثامن والتاسع عشر من الشهر الجاري. تشمل الفعاليات ندوات ومحاضرات عن الإبادة الجماعية التي ترتكبها «إسرائيل» في غزّة، إضافة الى مظاهرات تطالب الحكومة الإسبانية والاتحاد الأوروبي بقطع كافة أشكال العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع كيان الاحتلال.

ابن رشد: هل تُثبت الطبيعة وجود الله؟، عنوان الجلسة التي يستضيفها «متحف العالم العربي» بباريس عند السابعة من مساء الثلاثاء المقبل. تخصص هذه الجلسة، التي تأتي ضمن برنامج الفلسفة العربية، وتديرها **كريستينا سيرامي**، لمناقشة افكار ابن رشد العقلانية حول الطبيعة وما وراءها.

عند السابعة من مساء الخميس المقبل، تستضيف «مكتبة تنمية»، في فرع المعادي بالقاهرة، **مناقشة مفتوحة حول التجربة الادبية للكاتب محمد عبد الجواد**. المناقشة، التي يديرها **محمد الفولي** و**علي خلف**، تتناول تجربة عبد الجواد في الكتابة الروائية، وخصوصاً **عودة ثانية للابن الضال** و**جنازة البيض الحارة**.